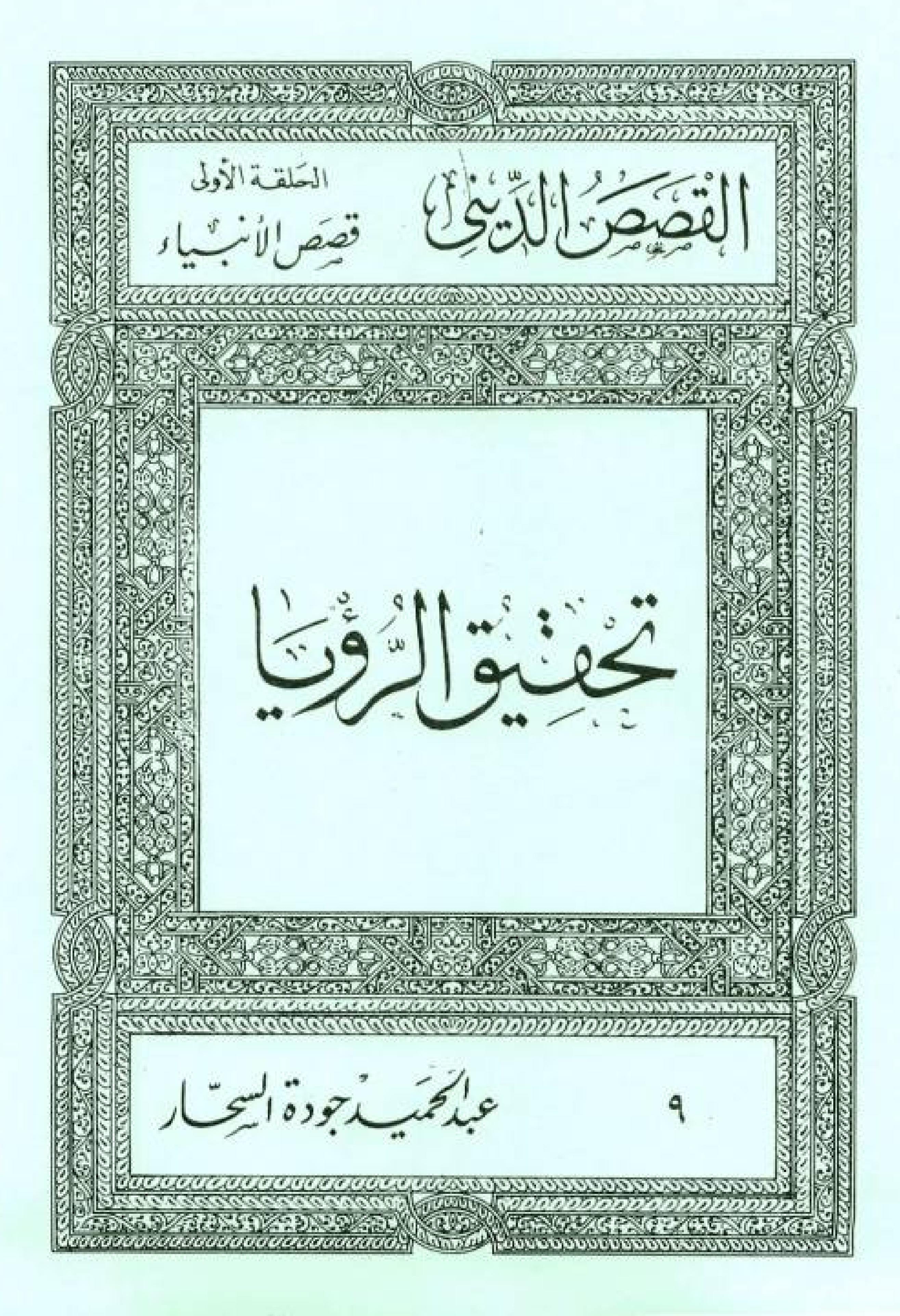


القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

تحقيق الرؤيا

عبد الحميد جودة السحار

٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخذت مكتبة الطفل فى السنوات الأخيرة تنمو وتتسع ، وكان اعتمادها فى جملته على القصص ، وكان جل هذا القصص مترجمًا أو معربًا .

وفى القرآن الكريم قصص رائع جميل ، فلم لا يأخذ مكانه فى مكتبة الطفل ؟ ولم لا تنتفع هذه المكتبة بذلك التراث الجميل ؟

فكرنا فى هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين : الأول : أن تكون النصوص القرآنية هى المصدر الأول لما نكتب ، إذ كنا نعتقد أن للقرآن فى هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة . والثانى : أن نحقق السرد الفنى للقصص بما يربى فى الطفل الشعور الدينى ويقوى الحاسة الفنية وينمى الذوق الأدبى .

وهذه السلسلة ، بأجزائها الثمانية عشرة ، هى الحلقة الأولى ؛ وهناك حلقة ثانية وحلقة ثالثة وحلقة رابعة ؛ وأما الحلقة الثانية فهى خاصة بقصص السيرة ـ سيرة الرسول ﷺ . وظهرت فى أربعة وعشرين جزءا ؛ وأما الحلقة الثالثة فهى خاصة بالخلفاء الراشدين وظهرت فى عشرين جزءًا ، وأما الحلقة الرابعة فستعرض صور البطولات الإسلامية فى جميع العصور .

وإننا نتقدم بالشكر إلى حضرة قائد الفرقة الجوية محمد محمد فرج الذى اقترح علينا إخراج هذه الحلقة .

ونرجو الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، والله ولى التوفيق .

المؤلف

١

لم يَسمع يوسُفُ كلامَ امرأةِ العزيز ، لأنه ما كان يحبُّ أن يخونَ سيِّدَهُ الذى ربَّاهُ . فدبَّرَتْ له امرأة العزيزِ مَكيدةً عندَ زوجِها ، وقالت له : إنَّ النساءَ فى كلِّ مكانٍ يتحدَّثنَ عنى وعن يوسفَ حديثًا رديئا ، ويُقُلْنَ كلامًا مؤذِيا . فالأَحْسَنُ أن يدخُلَ السجن ، حتى يعْرِفَ الناسُ أنَّ يوسفَ هو الذى كان يريدُ الاعْتِداءَ علىَّ ، ولهذا سُجِن .

عندَ ذلكَ أُدخِلَ يوسفُ السجن ، ودخَلَ السجنَ معه فَتَيان ، فتَعَرَّفا به ، وصارَ الجميعُ أصحابا .

وفى ليلةٍ نام هذان الفتيان ، فرأى كلٌّ منهما حُلْمًا لم يَعرِفْ له تفسيرا .

وفى الصباحِ طلبا من يوسفَ أن يفسِّر لهما الرؤيا .

قال أحدهما :

ـ لقد رأيتُنى فى المنامِ أعْصِرُ عِنَبا ، وأصْنَعُ منه خمْرًا ، وأسْقِى الملِك .

وقال الآخر :

ـ رأيتُ على رأسى خُبْزًا تأكُلُ الطيرُ منه ، فأخْبِرنا بتأْويلِ هذا الحُلُم ، إنّا نراكَ رجلا طيبا صالحا .

فقال لهما يوسف :

ـ مهما رأيتُما من حُلْم فإنّى أُعَبِّره لكما قبلَ وقوعِه ، فيكونُ كما أقول ، وهذا من تعليم اللّه لى لأنّى مؤمنٌ به ، موحِّدٌ له ، مُتَّبِعٌ مِلَّةَ آبائِى إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوب ، ما كان لنا أن نُشْرِكَ باللّه من شىء .

يا صاحِبَى السِّجن .. أيُّهُما أفْضَل : أأربابٌ كثيرون مُتَفَرِّقونَ لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا ، أو

إله واحدٌ عظيمٌ قادر ؟ إنَّ الآلهةَ التي تعبُدونَها آلهةٌ كاذبة ، والله أَمَرَنا أن نعبُدَهُ هو لأنّه خلقَنا ورزَقَنا . ولكنَّ أَكثَرَ الناسِ لا يَعلَمون .

« يا صاحِبَي السِّجنِ ، أَمَّا أَحدُكُما فَيَسْقي ربَّه (يعني سيِّده) خَمْرا ، وأَما الآخرُ فَيُصْلَبُ فتأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رأْسِه » .

وعرف يوسفُ أنَّ ساقِيَ المَلِكِ هو الذي سينجو من السِّجْن ، فقال له :

ـ اذكُرْ أمرِي وما أنا فيهِ من السِّجنِ دونَ ذنبٍ عندَ المَلِك .

٢

خرجَ ساقي المِلكِ من السِّجن ، وصُلِبَ الرَّجل الآخَر ، كما قال يوسف . ولكنَّ السَّاقي نَسِيَ أن يذكُرَ للمِلكِ أمْرَ يوسُف ، فبقِيَ في السِّجن عِدَّة سنين .

وفى ذاتِ ليلـةٍ نـام الملـكُ ، فـرأى فـى نومِـهِ أنـه جالِسٌ على شـاطئِ النهـر ، وقـدْ خَرَجَـتْ منـه سبْعُ بَقـراتٍ سَـمِينة ، ثـمَّ خَرَجَـتْ بعدها سـبْعُ بقـراتٍ هزيلة ، وذهَبَتِ البقراتُ الهزيلةُ إلى البقراتِ السـمينةِ فأَكلَتْها . فقام الملكُ من نومــه مفزوعـا . ولما ذهَـبَ خَوفُه عاد إلى نومه فـرأى فـى الحُلْـمِ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْر ، تأْكُلُها سَبْعُ سنبلات يابسات ، فقام من نومه وهو خائف .

وفى الصباحِ جمعَ الملِكُ رجالَه وقصَّ عليهم ما رآه فـى حُلْمِـه . فلـم يَعْرِفْ أحَدُهـم كيـف يفسِّـرُ هـذا الحلم ، عندئذ تذكَّرَ الساقى أنَّ يوسُف يُجيـد تفسـيرَ الأحلام . فقال للملك :

- أرْسِلنى إلى يوسُفَ فى السِّجن ، وأنا أُفسِّرُ لكـم هذا الحُلْم .

فأَرسلَه الملك إلى يوسُف . فقال له :

« يوسُف أيُّها الصِّدِّيق ، أَفْتِنا (أى أخبِرنا) فى سبعِ بقراتٍ سِمان ، يأْكلُهُنَّ سبْعٌ عِجاف ، وسبع سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرُ يابِسات ، لَعلّى أَرجِعُ إلى النّاسِ لعلَّهم يعلَمون » .

فقال له يوسُف :

ـ ستأْتِى سَبْعُ سنواتٍ يكثُر فيها الزَّرْعُ والثِّمار ، ثم يأْتِى بعدها سبعُ سنينَ يقلُّ فيها الزَّرْعُ والثِّمار ، فَعلَيكم أن تزرعوا باجتهادٍ سبعَ سنوات ، فإذا حَصَدْتُمُ القمحَ فاترُكوه فى سُنْبُلِه ، إلاَّ القمحَ الذى تحتاجونَ إليه لتأْكلوه ، فإذا جاءَت السِّنون التى لا زرعَ فيها ، أَكلتُم مما ادَّخَرتُم فى سنواتِ الرَّخاء . ثم تأتى بعد ذلك سنةُ رخاءٍ يَعْصِرُ فيها الناسُ العِنَبَ والقَصَبَ والسِّمسم ويشبعون ويتمتعون .

وعاد الرجل إلى الملك وذكر له ما قاله يوسف ، فأُعجبَ الملكُ به وأرسَلَ ساقِيه إلى يوسُف ، وأمَرَهُ بأنْ يُحْضِرَهُ ليكونَ من أصحابِ الملك . فلم يقبَل يوسُف أن يذهبَ إلى الملكِ قبلَ أن يُثْبِتَ له أنّه حُبِسَ ظُلْما . فقال للرجل :

ـ ارجِع إلى الملكِ واسألْه أن يحضرَ النساءَ اللاتى قَطّعْنَ أيديهنّ ، ويسألَهُنّ عن حقيقةِ ما حدثَ منّى . لِيعلَمَ أنّنى برىءٌ مما نُسِبَ إلىّ .

فأَرسَلَ الملكُ إلى النسوةِ وسأَلَهُنّ عن يوسُف ، فقلن :

ـ إنّه رجُلٌ كريمٌ ، ولم يحدُثْ منه شىء قبيح .

ورأتِ امرأةُ العزيزِ أنّ الحقّ قد ظهرَ ، فقالت :

ـ أنا طلَبتُه لنفسِى ، ولكنّه امتنعَ . إنه برىءٌ ؛ وإنه حُبِسَ ظُلما .

فلما علِمَ الملكُ ذلك ، عرَف أنّ يوسُف رجلٌ ذكىٌّ

وأَمين ، ورأى أن يستفيد من علمه وأمانتِه ، فقال : ائتونى به .

وجاءَ يوسف وكلّمَ الملِك ، فظهرَ له أنَّ يوسُفَ ذكيٌّ مُخلِصٌ أمين ، فقال له :

- إنَّكَ اليوم مُعَزَّزٌ مُكَرَّم .

فقال له يوسُف :

- إنَّ البِلادَ مُقبِلةٌ على رخاءٍ ثم جَدْب ، فاجعلْنى على خزائِن الدولة ، لأنّى أمينٌ على ما تحت يدى ، أَصرِفُه فى الصَّواب ، وأحفظ الباقى لأيامِ الشِّدَّة .

٣

أَصبَحَ يوسف وزيرا للملِك ، وأصبَحَ كلُّ شىءٍ فى يده .

ومرَّتْ سنواتُ الرَّخاء وجاءَت سنون الشِّدَّة ، فأَخذَ يوسُف يوزِّعُ على الناسِ من القمحِ الذى خزَنَه من أيام

الرَّخاء ، وأحَسَّت البلادُ بالشِّدَّة ، فكـان النـاسُ يـأْتونَ من البلادِ المجاورة لمصرَ ليأْخذوا حاجتهم .

وفى ذاتِ يوم ، دخل إخوةُ يوسُف عليه ، فعَرَفهم ولم يعرفوه . فما كـانوا يحسِبُون أنَّ يوسُف يُصبِحُ وزيرا ، وسأَلهم :

- كم عددكم ؟

فقالوا له : نحن اثنا عشرَ رجلا . ذَهَبَ منا واحد ، وصغيرُنا عند أبينا .

فأَكرمَهم وأطعمَهم ، ثم قال لهـم : اذهبـوا فـأْتونى بأَخيكم معكم لأُعطيكم ما طلبتم . فإذا لم تأْتونى به ، فلنْ أعطيكم شيئا .

فقالوا :

- سنجتهد فى مجيئه معنا .

وذهبوا يستعدُّون للعودة ، فأَمَرَ يوسـفُ خدمـه أن

يضعوا لإِخوتِه بضاعتهم التى جاءُوا بها ليبادلوا عليها بالقمح ، فى أَوعيتهم .

وعادوا إلى أبيهم ، فلمَّا قابلوه قالوا له :

ـ إنْ لَمْ تُرْسِلْ معنا أخانا ، فلنُ يُعطُونا شيئا .

فقال لهم :

ـ إننى لا آمَنُ عليه أحدًا ، وأخشى أن تفعلوا به ما فعلتم بيوسُف .

فقالوا : يا أبانا ، إن ما نقوله صحيح ، وهذه بضاعتنا التى أخذناها لنبادل عليها قد ردَّها الوزير ولم يَقْبَلْها .

فقال :

ـ لنْ أُرسِلَه معكم حتى تحلِفوا لى أن تحافظوا عليه .

فحلفوا أن يُحافِظُوا على أخيهم ، واستعدَّ

للذهاب إلى مصر ليُحضِروا منها القمـح . فقـال لهـم أبوهم :

ــ لا تدخلوا المدينةَ من بابٍ واحــد ، ولكـن ادخلوا من أبوابٍ متفرّقة .

قال لهم هذا ، لأنّه كـان يخشَى أن يُصيبهـم شَرٌّ ، فلا يُصيبهم كلّهم في وقتٍ واحد .

وسافروا حتى إذا دخلوا علـى يوسُـف ، أخـذَ يوسُف بنيامينَ بعيدًا ، وقال له :

ــ أنا أخوكَ يوسُف ، فلا تذكُرْ ذلك لإخوتِك ..

فسُرَّ بنيامين بلقـاء أخيـه ، وأرادَ يوسـف أن يأْخذَ بنيامين منهم ، فقال لخَدَمه :

ــ ضعوا سقاية الملـك التى يشرب بهـا فى متـاع بنيامين .

فوضعوها .

وحزم إخوةُ يوسُف أمتِعتهم ، وحمَّلوها على الجمال وخرجُوا .

وعند ذلك نادى عليهم أحد الحُرَّاس قائلا : إنكم لسارِقون .

فعادوا نحو المنادى وسألوا : ماذا ضاعَ منكم ؟

قال : سرقتم سقاية الملك التى يشربُ بها .

قالوا : فَتّشونا ، فما جئنا لِنَسرِق .

قال : فما جزاءُ مَن وُجدَتْ مَعَه ؟

قالوا : جزاؤُه أن تأْخذُوه أسيرا .

وجاءَ يوسُف ، وفَتّشَ أمْتِعتَهم قبلَ متاع أخيه ، ثم فَتّش متاع أخيهِ واستخرج منه سقاية الملك ، وأخذَ أخاه جزاءً على وجودِ السِّقايةِ فى متاعه .

وقال إخوته :

« إنْ يسرِق فقد سرَقَ أخٌ له مِن قبْل » .

فعرَفَ يوسُف أنهم يقصِدونه ، ولكنه لم يستطِع أن يـردَّ عليهـم ، حتـى لا تنكشِـفَ حيلتُـه ، وقـال فـى نفسه :

« أنتم شَرٌّ مكانا ، واللّه أعلمُ بما تَصِفون » .

وتذكـروا أنهـم حَلَفـوا لأبيهـم أن يُحـافِظوا علـى أخيهم ، فقالوا ليوسف :

« يا أيُّها العزيـز ، إنَّ لـه أَبـا شَيخًا كبيرا ، فخـذ أَحدَنا مكانه ، إنّا نَراكَ من المُحْسِنين » .

قال : « مَعاذَ اللّهِ أَن نأْخذَ إلاّ مَـنْ وَجَدْنـا متناعَنـا عِنْدَهُ ، إنّا إذنْ لَظالِمُون » .

ولما يئسوا من أن يأخذوه ، اجتمعـوا يتشـاوَرُون ، فقال كبيرهم :

ـ لقد حلفْنا أَن نحافظ عليه ، ولا أَستطيعُ أَن أُقابِلَ أَبانا وبنيامينُ ليس معِى .

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ سأَبقَى هنا حتى أَردَّ أَخى ، أَو يأْذنَ لى أَبى بالعودة .

ـ وماذا نفعل نحن ؟

ـ« ارْجِعُوا إِلى أَبيكم ، فقولوا : يا أَبانا إِنَّ ابنك سرَق » .

فعادوا إلى أبيهم ، فلما سأَلهم عن بنيامين ، ذكروا له ما حصل ، فلم يُصَدِّقهم ، ، وقال لهم :

ـ إِنَّ ابنى لا يسرق .

قالوا : اسأَلِ الناس الذين كانوا معنا ، فقد اشتهر هذا الأَمر بينهم .

قال : لقد فعلتم به ما فعلتم بيوسُف ، وإِنِّى أَرجُو أَنْ يأَتيَنى اللّه بهم جميعا .

٤

حزن يعقوب على بنيامين ، وتجدَّد حزنه على يوسف ، وأخذَ يبكى حتى فقَدَ بصرَه ، ولاحظ أبناؤه كثرة بكائه .. فقالوا له :

ـ ستظل تذكر يوسُف وتبكى عليه حتى تضعفَ أَو تموت ، فالأَحسْن أَنْ تَتُرِكَ البكاءَ .

فقال لهم : لستُ أَشكو إليكم ، ولا إلى أَحد من الناس ، إِنما أَشكو إِلى اللّه ، وأَعلم أَنَّ اللَّه سيرحمنى ويخلّصنى مما أَنا فيه . يا بَنىَّ ، اذهبوا فابحثوا عن يوسف وأَخيه ، ولا تيئَسوا من الفَرَجِ بعدَ الشدَّة ، لأَنَّهُ لا ييئس من فرج اللّه إلاَّ الكافرون .

٥

عاد إِخوة يوسف إلى مصر يطلبون من العزيز أَن يتصدَّق عليهم ، ويعفوَ عن أَخيهم . فلما دخلوا عليه ، قالوا له :

ـ يأَيُّها العزيز ، أَصبحنا فى حال شديدة ، وليس معنا إلا بضاعة رديئة ، فأَعطنا مما عندك ، وتصدَّق علينا بردِّ أَخينا .

فقال لهم يوسف :

« هلْ عَلِمْتُم ما فَعَلْتم بيوسف وأَخيه ؟ » .

فنظروا إليه طويلا ثم قالوا :

« أَئِنَّكَ لأَنْتَ يوسُف ؟ » .

« قال : أَنا يوسف ، وهذا أَخى .. قَد مَنَّ اللّه علينا » .

فقالوا له :

- واللّه لقد فضّلك اللّه علينا . فسامِحنا فيما فعلناه معَكَ يا أَخانا .

قال :

- لا تخافوا ، فلنْ أُعاقبكُم على ما كان منكم ، واليومِ يغفرُ اللّه لكم وهو أَرحَمُ الرَّاحِمين .

وسأَلهم عن أَبيه ، فقالوا له :

- لقد فَقَدَ بصره من كثرة البكاء عليك .

فخلَعَ قميصَه وأَعطاه لأَخيه الذى كان قد قال لهم : لا تقتلوا يوسُف وأَلقوه فى الجُبِّ ، وقال له : اذهبْ بقميصى هذا ، فأَلقِهْ على وجْهِ أَبى يَأْتِ بَصيرا ، وأْتونى بأَهلِكم أجمعين ، ليعيشوا هنا فى مصر فى هذا الرّخاء العظيم .

٦

وقف يعقوب ينتظر عودة أبنائه ، فلما قربوا ، استنشق الهواء بقوة ، وقال لمن حوله :

- إنِّى أَشَمُّ ريح يوسُف .

فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا :

- ستعود إلى الوهم القديم . لقد مات يوسف وأَكله الذئب من سنين .

ووصل أَبناءُ يعقوب ، فوضعوا قميص يوسف على وجهه ، فرجع إليه بصره ، وقال لأَولاده :

- ألم أَقل لكم ، إِنِّى أعلمُ أَنَّ اللّه سيَجمَعُ شَملى بيوسف .

قالوا : يا أبانا ، استغفر لنا ربنا .

قال : سوفَ أَستغفرُ لكم ربِّى ، إِنَّه هو الغفور الرحيم .

وحمل يعقوبُ أَهْلَهُ وذهب إِلى مصر . وقبلَ أَن

يبلُغَها ، قابلـه يوسـفُ فى الطريـق ، وأَكـرَمَ أَبويـه ، وسار معهما حتّى إِذا وصل إِلى مصرَ قال لهم :

« ادخلوا مصر إِن شاء اللّه آمنين » .

ودخل يوسفُ وجلَسَ على كرسيّه ، فانحنى له أبوه وأُمُّهُ وإِخوتُه تعظيما له ، فقال يوسف لأَبيه :

« يا أَبَتِ ، هذا تأْوِيلُ رؤياىَ مـن قبـلُ قـد جَعَلَهـا رَبّى حقًّا » ، وجعلنى حاكمـا بعد أَن أَخرجنـى مـن السِّجن ، وجاءَ بكـم مـن الصحـراء ، بعد أن فـرّق الشيطانُ بينى وبـينَ إِخوَتـى ، إِنَّ ربِّـى إِذا أرادَ شيئا أَوجَدَ أَسبابَه وحقّقه .